المحاضرة الثالثة

المحاضرة الثالثة:

الشعر الشعبي 2

أنواع الشعر الشعبي – نماذج شعرية للتمثيل

الشعر الشعبي كان مرافقا للإنسان العربي في بطولاته وفرحته بالانتصارات في ثوراته منذ القديم، كما كان ترجمانا لحياة أبطاله والفاتحين،ولهذا فقد تهيّأ للشّاعر العربي والجزائري في " أن يصوّر حياة الشعب الجزائري في كلّ الظروف،ونزلبها إلى طبقات المجتمع فأخذ بذلك أنواعا على مستوى الشكل والمضمون"[1]

أولا : على مستوى الشكل:

إنّ واقع الإنسان العربي والذي عاش في بيئة قاسية تجبره على خوض غمار الحرب والمعارك ليحقق رغباته وأهدافه جعلت شعره يأخذ حيزا مهما في هذا الجانب دون إغفال اهتمامه بجوانب أخرى من حياته، حيث وظف أشعاره وأبياته في مقطوعات شعرية اصطلح على تسميتها بالرباعيات، إضافة إلى القصيدة وما بينهما (الرباعيات والقصيدة) وهو ما يشكّل أنواع الشعر الشعبي على مستوى الشكل .

أ..الرباعيات:

إنّ التنوع في شكل الشعر الشّعبي فرض تقسيمات وتسميات ما جعل الكثير من الشعراء والنقاد يعطونها تسميات ويشكلون منها فصولا وأبوابا، والهدف من ذلك تسهيل دراستها من الجانب الفني، لذا النّص الشّعري الشّعبي اتّخذ منحى قصر النص في الغالب مع تجنّب استعمال الأسلوب العربي الفصيح، فسجّل الكثير من الدارسين كحسين نصّار والعربي دحو جملة من النماذج في كتاباتهم من ذلك ماهو مسجل من الشعر الشّعبي الجزائري.

فهذا ابن قيطونيقول في مطلع قصيدته "حيزية " [2]

1- العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، منطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، ص94.

2-أحمد الأمين: صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري، دار الحكمة ، الجزائر، 2007، ص39.

عزّونـــــي يـــــا مـــــلاح فـــــي رايـــس لبـــــنات

سكـنت تحـــــت لحـــــود نـــــــاري مـــقـــــــديـا

يا أخـــــي أنا ضـــرير بـــيا مـــــــا بـــــــيا

قلبـــــي ســـافر مـــــع الضـــــــامـــــــر حيزية

القصيدة رباعية الشكل، وهذا النّوع يسمّيه الشعراء والرواة بـ: المربوع أو الرباعية حيث كل مقطع يحوي أربعة أشطار قصيرة، يلتزم فيها الشاعر بقافية الشطر الرابع، وينوّع من قوافي الأشطار الثلاثة التي تتشابه حد التوحيد في الرباعية الواحدة، كقول الشاعر ابن قيطونفيرثاء الشيخ محمد بلقاسم [1]:

غابْ الشّيخ المقـْـصُود عـــــن الـــــوُجُـــــود

بعـــدْانْ كَـــانْ موْجُـود نـــعـــــــم الـــــــودود

.....د.....د

وكقوله:

غاب الشيخ المذكـــــور في كـــل لبـــــــــرور

غـــــاب بدر البـــــدور عـــــن كـــل بـــــلاد

.....ر.....ر

.....د .....د

خبَـــر جَـــانَا بالفـُـــور وامْـــــحَـــاه كـــــدُور

ضاقـــــت به الصـــدور حَـــارتْ لجْـــــــسَـــاد

هذه هي أهم ميزة فنيّة تقوم عليها القصائد الشعبية العربية .

1-المرجع نفسه، ص101.

إن القصائد الرباعية هي المفضلة في الكثير من القصائد الشعبية ويعود هذا _ ربما_ لسهولتها وسهولة نظمها وتلحينها وترديدها، إضافة إلى دفع الملل عن متلقيها أثناء الإنشاد لأنها في أغلبها لا تقرا وإنما تغني فقط [1] وبما أن الرباعيات هي الغالبة من النصوص الشعرية الشعبية فإن حظها في النظم والاستماع والتلقي أكثر من غيرها من النصوص الأخرى .

ويمكن أننقول بما أنّ فعل الارتجال في إنشاء النّص الشّعري الشّعبي هو الغالب لحاجة استعماله في الغناء هو الذي يعطينا الطابع الرباعي " ولقد كانت هذه الرباعيات هي المسيطرة أثناء الثورة التحريرية، نظرا لحاجة النّاس الماسة إلى التنفيس عن آلامهم والترويج والكشف عن مكنوناتهم التي ظلّت فترة طويلة تتصارع في أعماقهم"[2]وعموما الرباعيات والمقطوعات غالبة على الكثير من النصوص في الشعر الشعبي العربي والجزائري.

ب..القصائد :

تختلف القصيدة تماما عن الرباعيات أو المقطوعات من حيث أنها معروفة المؤلف _ في غالب الأحيان_ وقد يتمتع صاحبها بمستوى ثقافي معيّن، مع الموهبة، وهذا ربما لا يتوفر في الرباعيات " التي يجهل صاحبها وتجهل بيئته ومستواه الثقافي وهو الأمر الذي أكسبها صفة الجماعية في الملكية والتداول " [3]

ويضيف العربي دحو " إذا كان ما يسجل لهؤلاء الشعراء من ميزات فإنه ينبغي التأكد على عنصر الموهبة وكذا على اللسان العربي الطليق الذي نلاحظه في كثير من الأحيان ويعطينا عبارات نضطر إلى البحث عن معانيها في القواميس" [4] وعلى هذه الخصائص التي تسجل على القصيدة هي التي جعلت انتشارها محدودا، فنفسها الطويل لا يسمح بحفظها بسهولة وتناولها لأغراض متعددة في نص واحد، ثم غرابة بعض ألفاظها

1-العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، ص96.
2-المرجع نفسه، ص96.
3-العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى ، ص171.
4-المرجع نفسه، ص173.

هذا كله يجعل النصوص حبيسة أصحابها في غالب الأحيان ومن أمثلة القصائد الشعبية ما جاء على لسان الشاعر الجزائري البشير قذيفة [1] يقول:

ارماتني بسهامها طفلة سمرة * تودر عقلي حين ربـــي راد عليه**

لا طالب لا طبيب ينفع ذ المرّة ***والجرح الا طـال واش اداوي فيه

يا ربّـــي بـجـــاه طه والعـــشرة * بجاه المحراب واللـــي طافو بيه**

يا ربّـــي بجـــاه فاطـمة الزهرة * وبجاه اللي قام ليلو وصلّى فيه**

اشفيني يا خالـــق جرحـي يبرا ***يا عالم بهموم قلبي واللـــي فيه

ننـــــساها ونعـود كي أول مرّة ***هم الوحدة والسهر ما طقت عليه

ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله الشاعر عامر أم هاني [2]، يقول :

يا ولفي وش بيك ما همك تعبي * والقلب اديتيه في جنبك ســافر**

اهجـــــرتينيرايـــــحة لحت حبّي ***واركبني وسواس من هموحاير

ازهيـــــــتيبفـــــراقنا خـــافي ربي*ربّـــــما غرّوك نـــــــاس المناكر**

وهذا الشاعر عبد الحفيظ عبد الغفار يقول في إحدى قصائده [3] :

دهشـــني شمل لعرب مـــابـــا يتلم * مهما دارو ما يفيد من تلمادو**

ما نفعـــتش الجامـــعة ما ينفع دم*اللغة والعـــــادات فيهم ما فـــادو**

ما فادش رسول بالصـــــدق اتكلّـم*حتى من القرآن هجره أو حادو**

الاستعمار اصعيب عمرو ما يرحم*بـعد ان فـــــرّقـــــنا تحقق مرادو**

1-البشير قذيفة: شاعر شعبي جزائري من مواليد 1958 بدائرة جبل امساعد المسيلة ، له ديوان أحلى وأجمل قصائد الملحون مخطوط شعري .

2-عامر أم هاني : شاعر شعبي جزائري من مواليد 1945 ببوسعادة ولاية المسيلة ..

3-عبد الحفيظ عبد الغفار : شاعر شعبي جزائري من مواليد مدينة بوسعادة. ينتهي نسبه إلى عرش أولاد عمارة بئر الفضة المسيلة.

يا حسراه على زمان أن فات قدم ***والقديم أكيد يـصـــــعب توجادو

من خلال هذه النماذج والنصوص يتبين لنا جليا ما تعتمده القصيدة الشعبية العربية والجزائرية من فنيات من حيث اهتمام الشعراء بالرنّة النغمية في الكلمات وما ينتج عنها من إيقاع موسيقي تطرب له الآذان والذي يتطلب مهارة لغوية، تقتصر فقط على شعراء مقتدرين لهم من الحس والجمال الشعريين، معتمدين في ذلك على أسلوبهم ولغتهم الشعرية الخاصة المعتمدة على خصائص وفنيات معينة.

ثانيا: على مستوى المضمون :

أ..النص البدوي: يتميز هذا النوع من النصوص بألفاظه الجزلة وترابط كلماته وسلاسة معانيه معتمدا في ذلك على الكلمات القوية التي تنبع من البادية، كما يتميز بالخشونة، يرتبط بالأرض والوطن والخيمة والخيل من ذلك ما جاء في قصيدة للشاعر عبد القادر العطوي[1]: يقول

اتوحشت أولاد نايل ذا الخطرة ***الله لا تـــراس نغـــــداناويـــــــاه

نسري عل الفجار وانشق البكرة*نتوكل عل خالقي عظـــــيم الجـــاه**

البـــــر لي فيه تطـــــياب لعشــرة*توحـــــشنا ذوك المراسم يا حسراه**

ما حلاها قعدات في البيت الحمراء*ذيك القعدة تزيد للخـــاطر تنزاه**

فلجة مرقومين رڤبة من ظهـــــره*والكانون ارواڤ من ڤـــبلهغطاه**

من النعجة صوف والمعزة شعرة*تتحزم اخـــودات لشغـــــــلها تهواه**

بدات تسلسل عولت خطفت بكثرة*لخرا تقدرش طالبه عونو ورضاه**

باه تسدي يلزمـك خيـــــط النـــيرة*هات الميشع ما يكون افليج بلاه**

1-عبد القادر العطوي : شاعر شعبي جزائري.

وافرشات مزركـــشة حمرا وخضرا*حنـــــابل ومخـــاد وزرابـــي كيفاه**

أهل البـــادية أهل غيـــرة وازناد ***يا سعد اللي دارهم في الجار احذاه

هذه الأبياتتحظر فيها لغة البادية العتيقة والتي تستمد جذورها من أعماق اللغة العربية الأم، وربما يصعب على ساكن المدينة فهمها واستيعابها باعتبار أن الكثير من ألفاظها غير معتمدة في قاموسهم اليومي :" لكن الشاعر هنا مسلح بإرادة التميز والتفرّد وهو يحفر فيالذاكرة ليعطي تلك الألفاظ والمفردات حياة جديدة وهو يتحدث عن مواضيع العصر" [1] ومن الألفاظ الدالة على عمق البداوة في هذا النص الشعري:

البيت الحمرا = الخيمة الحمراء

فلجة : ما تتكون منه البيت (خيوط مترابطة)

تقردش :القرداش آلة تستعمل لتنقية الصوف من الشوائب

حنابل: أغطية تقليدية تصنع من الصوف

ب..النص الحضري:

" هو النص الشفاف الذي يقطر ليونه ورقة يتخلله أحيانا بعض النثر الملاحظ بين عباراته وألفاظه " [2] هذا النوع من الشعر شاع وأخذ موقعه عند الشعراء الشعبيين الذين استجابوا لمغريات الحياة وتطوراتها فدخلت عليهم لغة العصرنة والعولمة والتكنولوجيا ، وأصيبت القصيدة الشعبية بانزياح على مستوى اللغة والألفاظ لجأ فيه الشاعر إلى الاتكاء على مصطلحات ومفردات متداولة في عصرنا هذا كـ (السيارة، التلفاز، القطار، الطائرة، والهاتف...الخ) مما يضفي على النص صفة النص الحضري، وما ورد من نصوص في هذا المجال ما جاء في قصيدة شعرية شعبية لصاحبها عبد الحميد عيواج[3]، يقول :

1-عبد الكريم قذيفة : انطولوجيا الشعر الملحون، الشعراء الحاليون منشورات ارتستيك، القبة ، الجزائر، ط2، 2007، ص128.

2-العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، مرجع سابق، ص94.

3-عبد الحميد عيواج : شاعر شعبي جزائري من مواليد مدينة عين الحجل.

يالهاتف نشريك احديد مشمّع*ما نرضاش تكون خادم فيك اعطاب**

كي حالي ضرير القلـــب ملوّع*واللّـــــي لوّع خاطري باهـــــي جذّاب**

محتاجك نشريك ماني نتــمتع ***وانكـــــــلم محبوبتي سابـــــق لهذاب

وانقولها واش في الكبدة يوجع*عذبتيني يا ختي والهـــــجر اعذاب**

يحيا من سمّاك الو وفيك ابدع*خدمك تحفة خارقة كلـــــش احساب**

كان هذا في مدح الهاتف لكنه يواصل وينتقل إلى ذمّه مستغربا طريقة اكتسابه واستعماله من طرف شرائح المجتمع يقول:

لكن قدرك طاح كي دارك لڤــرع* واللّي هب ودب دارك في لجــياب**

واشراك لجيعان كرشو ما تشبع* والدربـــــــالڤطايحتلو عل لجــناب**

دارك الجهال والصبي يرضـــع * والطـــــــلابة دارتك تحـت الجــلاب**

اعطيني لابيس ونروح نوسع * لاخـــــــرڤاعديستنى قـــــدام الباب**

في كل هذه الأبيات لجأ الشاعر إلى استعمال كلام الحواضر مثل (الهاتف، ألو، لابيس ...) وهي كلمات تشيع بكثرة في الحاضرة.

وهاهو الشاعر " العيد دبوسي " [1] يجسد ذلك شعره من خلال الحديث والأسف عن امرأة زوّجها أهلها عنوة في صفقة مادية دون احترام المشاعر يقول :

غرّوا بيها أهلـــها باعـــوها ليه * هاذو نيبيعو السلعة جـمّالة**

حب الدراهم زادهم تيه علـى تيه* على الدوروداي ـــرين بهـدالة**

1-العيد دبوسي : شاعر شعبي جزائري من مواليد 1967 بمدينة عين الحجل ولاية المسيلة.

متقـــاعد قالـــــوها هنا ولهـــــيه * والدراهم بزاف عنـــو هـــوطالة**

عندو زوج احواش ومحلو تكريه ** وعلى ظهرو عفسي بالصندالة

حرت في ذا القوم كيفاه انسميه * في القرن العشرين كاينجوهالة**[1]

إنه بالنظر إلى النص نجد الشاعر اعتمد في قاموسه ألفاظا من الحاضر لم تكن متداولة من قبل كقوله (الدراهم، الدورو، أحواش، تكريه ...) وهي في مجملها معتمدة في قاموس ساكنة المدينة كما تدل على تأثير البيئة والظروف المحيطة في شعر الشاعر الشعبي، ويمكن القول أن الشعراء الشعبيين قد وفقوا كثيرا عند النشاط الإنساني العام واهتموا به أيما اهتمام في كثير من المواقف الشعرية .

أغراض الشعر الشعبي :

تعددت أغراض الشعر الشعبي بتعدد تطلعات الشعب وطموحاته حيث يساير الحياة بكل ظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وسنحاول هنا الكشف عن أهم الأغراض معتمدين أمثلة من الشعر الشعبي الجزائري.

أ..الغزل :

لقد شغل الحديث عن المرأة في الشعر الشعبي حيّزا كبيرا حتى أصبح حجمه يعادل كل الأشعار التي قيلت في الموضوعات الأخرى كالوصف والمدح والرثاء حيث إن الإنسان أحس منذ وجوده إلى حاجته للتعبير عن حاجاته الوجدانية يقول " ابن منظور":"يشبب المرأة أي قال فيها الغزل والتشبيب هو النسيب وتشبب بها أي تغزّل بها"[2] فكل الشعراء يعرضون تجاربهم الشخصية يعبر عنها وفق الأدواتالتي يملكها انطلاقا من تجربته وهذا الغرض " يشترك فيه الجميع وينظم فيه كل من هبّ ودبّ، وطريقتهم في هذا الباب متحدة الأسلوب والاتجاه بحيث لا نستطيع أن نفرق بين شاعر

1-عبد الكريم قذيفة : انطولوجيا الشعر الملحون، الشعراء الحاليون، مرجع سابق، ص114.
2-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ج4، ص4.

وشاعر إلا بما امتاز به كل واحد في التعبير والتنظيم " [1] ومما جاء في هذا الغرض نذكر ما قاله الشاعر سعيد بن عبد الله المنداسي ، يقول:

عند نسايم ذكرها تحـــــيا بالشم*نستنشق لو اكنتهاذالي مزكوم**

نتفكر منها ليـــــالي فاتـــو دهم*في سماهم ما شاهدت لعيون نجوم**[2]

كما تطرق الشاعر البشير قذيفة إلى ذلك وما قاله :

من جرحتني زينة السالف ذهبي*وجلبـــــتني بحنـــانها ملكتني بيه**

اغزال الصحراء يالخوزاد عذابي*وعـــــدت معـدم راه طبي بين ايديه**

إلى أن يقول :

ما يحلالي عيش ما يبرد خاطري*وبلا مريم كيف ذا العـمر نعديه**[3]

أما الشاعر " ابن قيطون" فقد ذكر ذلك في رائعته "حيزية"، يقول:

خدّك ورد الصباح وقرنفل وضّاح*الدم عليه ساح مثل الضـــــواية**

الفم مثل العاج والمضحك لعـــاج*ريقك سي النعاج عسل الشهاية**

شوف الرقبة خيار من طلعة جمار*جعبة بلار والعـــــواقد ذهـبية**

انشوف السيقان بالخلاخل فتــان*نسمع حس القران فوق الريحية**

لقد تميز هذا النوع من الشعر بالانتقال من التقرير سابقا، إلى التصوير حيث انتقل الشاعر من الإخبار عن قصة الحب التي يعيشها إلى تصوير هذا الحب مجسدا إياه بمعجم شعري مميّز من حيث اللغة والصور التي تشكل صورة المرأة الحبيبة لدى الشاعر .

ب..الرثاء :

الرثاء لون من ألوان الشعر الشعبي " وهو لا يختلف في أسلوبه عن المراثي الفصيحة وغالبا ما يرسله الشعراء في أسلوب رسائل إلى من يريدون تعريفه في فقيد" [4] فهذا اللون يعبر فيه الشاعر عن مكنونات النفس الحزينة حينما تفقد عزيزا عليها ومهما

1-محمد المرزوقي: الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، ص59.
2-المرجع نفسه، ص59..
3-البشير قذيفة: أحلى وأجمل قصائد الملحون مخطوط شعري، ص14.
4-محمد المرزوقي: الأدب الشعبي ، مرجع سابق، ص170.

جاء في هذا الغرض نذكر ما قاله الشاعر عبد القادر بن النوي في رثائه لابنته " نجاة" ، يقول:

فجعة موتك جات حرشة مشطوفا*موت الغصـــــبة نار مامــر لظناها**

اهدف خبرك في عشية مشـــلوفة*شلش عقلي والجـــوانح اقـــــــداها**

اترجيت انحـــس كبدي مجــروفة* نتمحـــــــمح ما بين فردات حماها**

إلى أن يقول:

وين نهـــاجر وين نصـــد نلقاها*ليلة كحـــلة يا حبابـــي مقســـــاها**

اسمـــــــك يا نجــاة ولالي خطفا ***وخيـــــالاتك ويــن ننظر نلـــــــقاها

اخيـــالك في النوم نستهفو هفة*نفطـــــن فازع ويـــــن بنتــي وراها** [1]

إن هذه القصيدة من القصائد التي تقدم صورة جميلة في شعر الرثاء الشعبي أين ذهب الشاعر يستعير عواطف وانفعالات تعبّر عن ثنائه لابنته وتذكر أخلاقها الحميدة وبحق قدمت صورة وجدانية جميلة.

أما الشاعر الشيخ السماتي، فقد رثى والدته في قصيدة رسم فيها صورا تفيض حزنا وأسى، يقول:

زرت قبور حبابنا في شاو نهار*ولقيناهم بالســـــلامــة ما ردوش**

يا حسراه حبابنا كي كانو جــار* ظنوا في الدنيا وفيها ماداموش**

الناس اللي قبرناهم خلو تذكار*اصبر يا قلبي الموتى ما يحيوش**[2]

وسار على دربه الشاعر البشير قذيفة راثياأخته يشكو مرارة البعاد ولوعة الفراق، مبينا خصال شقيقته من خلال لغة شعرية تفيض رقة وجمالا، يقول:

1-عبد الكريم قذيفة: انطولوجيا الشعر الملحون الشعراء الحاليون ، مرجع سابق، ص47.
2-أحمد الأمين: صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري ، مرجع سابق، ص167.

نبكي عنك يا ختي بدموع الدم*ونبكـي عنك طول عمري ما نرتاح**

ونبكي عند والدموع تفاجي الهمونبكي عنك يا ختي مغرب وصباح**

كي نتفكر كي راه قلبي يتـــألم*ويحـيا فيها الضـــــر مع لجـــراح**

راكي خليتي الخاطر متحـــطم ***راني يا ختـــي مكـــسور لجـــــناح

هاذي هي حالـــتي والله احـكم*عنّـــي قدّر خالق الكـــون ولرواح**

ندعيلك يا خـــتي ربي يرحـــم*يغـفر لك ويصـــبر الخاطر يرتاح** [1]

من خلال ما سبق يمكن القول: إن الشاعر الشعبي الرثاء ينطلق من رؤية رثائية ويجعل المرثي شيئا مقدسا، يسبغ عليه كل صفات القداسة التي ترفعه إلى عالم المثل.

ج..الوصف:

الوصف غرض آخر من أغراض الشعر الشعبي ويشمل كل ما تقع عليه عين الشاعر، ويتأثر به تأثرا عميقا، وهو وصف دقيق قد يخرجنا من موضوع إلى آخر، وقد يشمل وصف المعارك، النصر، والهزيمة، ووصف أداة هذه المعارك وهي الخيل والانتصار، وبهذا نكون أمام غرض آخر وهو الفخر ويزيغ الشاعر الشعبي ويصف المرأة كما يصف الطبيعة والعناصر المشكلة لها وما ورد لنا من أشعار وصف المعارك والوقائع الحربية ما قاله الشاعر "الأخضر بن خلوف" في وصف معركة بين الجيش الجزائري والجيش الإسباني ، قال:

طل الكافر حين شـــاف الناس*حقق في الجهة امشى مجدوب**

قالوا أهل التدبـــير للفرطـــاس*إذا نغـــــدو ايجـــــونا بركـوب**

ثم نقـــــتل الرّاس بعـــد الرّاس*حق الحق ولا بقـــــات كـــذوب**

بانوا الكـــــفرة حارمـــين النوم*ومزامـــــــير المـــقت معمومة**[1]

1-البشير قذيفة: أحلى وأجمل قصائد الملحون مخطوط شعري، مرجع سابق، ص21.

أما الشاعر البشير قذيفة فقد تغنى ووصف جمال مدينة بوسعادة وحنينه إليها، يقول:

يا لله يا شيفور قتلوا نمـــــــهل ***بن سرور ياما عدّينا فيها من قعدات

الرمانة ماذا اسهرنا فيـــك اقبـل*طلينا عن بوسعـــــــادة يا ســـــادات**

اخفق قلبي كي نظر ليها وعقل*مثـــــل الدرة بين جبلـــــين تـــــلالات**

ذيك الغابة الغالية فيها ندخـــل*فاحت ريحة محبوبتي في نيفـــي جات**

اتهنا قلبي على وطنو كي طل*من شوقي طاحـــو على خدي دمعات**

تباشر لحباب ليا كي نوصـــــل*عيـــــن اغـــراب تبانـــــلي جنّة ولاّت**

نتمرمد في التراب والحجرا نقبل*ويبـــــرا دايا من الهـــوى والنار اطفات**

كما سار على دربه الشاعر "عامر أم هاني" الذي قال قصيدة يصف فيها نخلة ، يقول:

يا نخـــــلة ساكـــــنة برا الاريـــــاح*مكـــثرك بأوصاف تشبه للعارم**

انت في وسط الصحاري زينك لاح*واحييت امكان من قلبك حاطم**

فزيت من ذا الرمل زدتيه اشبـاح ***فالزين اعجبتيهواصبحلكرايم

من يفصلك عالرمل صيتو جـاح*كي حواء مڤرون اسمها بآدم**

اجريدك ممشوط في جنبك دلواح*واللي في ڤطايتك واقف قايم**

لقد وصف الشاعر أحد مكونات الطبيعة ألا وهي النخلة فتغنى بجمالها وما تضيفه من بهاء للطبيعة.

1-جلول يلس وامقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص26.

د..المدح والتوسل في الشعر الشعبي :

لقد تخصص الكثير من الشعراء في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم الشيخ الأخضر بن خلوف الذي خصص شعره لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ونلمس في شعره هذا " عاطفة صادقة طافحة بالأمل والرجاء في شفاعة محمد عليه الصلاة والسلام يوم القيام، ويقر بأن حبّ المصطفى قد تمكن من سائر جسده وأنه العين التي يرى بها" [1]، يقول :

أحســـن ما يقال عندي ***باســـــم الله وبيـك نبدا

حبّك في سلطان جسدي*ما عزّك يا عيـــن واحدة**

قدر النحلة اللي تســـدي*تبني شهدة فوق شهدة**

يا محـــمّد أنت سيـدي * صلى الله عليـــك لبدا** [2]

وما يجب أن نشير إليه أن المدح يصبح غناء أو ترديدا جماعيا يشترك فيه جميع الحاضرين في مناسبة دينية أو اجتماعية، ويركز الشعراء الشعبيون في مدحهم على شخصيات تاريخية إسلامية وعربية أو محلية يمجدونها كالأولياء والصالحين وفي مقدمتهم عبد القادر الجيلاني، إضافة إلى مدح مؤسسي الطرق الصوفية، حيث يختلط المدح بالتوسل.

فالشيخ الشلالي يمدح ويتوسل في آن واحد وذلك خلال ثورة المقراني، قال:

عمـــره سيدي ما ينســـــانا*بوقـبـــريـــــن يكـــون مـــعانا**

بن عـبد الرحـــمان رضـــانا*مول الجاه ومـــول الخـــــصلة**

عليه اتكـــالـــــنا ورجـــانا * من شدة الضيـــق يســـــلكنا**

وهو هنا يقصد الشيخ العالم الأزهري محمد بن عبد الرحمان مؤسس الطريقة الرحمانية، وسار على درب هؤلاء بعض الشعراء الشعبيين ،فهاهو الشاعر محمد بلخير الذي عرف بشاعر الشيخ بوعمامة لمدحه في قصائد كثيرة، قال في إحداها:

يا عـــــالم الخفية مفتاح كل باب*الشـــــيخ بوعـــمامة ليّا رضية**

1-التلي بن الشيخ: دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990 ، ص51.
2-المرجع نفسه، ص51.

سلاك من حصل ساعة حك الركابوالشيخ وين كان المغبون ايجيه**[1]

هذه بعض النماذج في هذا الغرض، ويمكن القول أن جلّ الشعراء الشعبيين حافظوا على هذا النوع من الشعر إما مدحا أو تودد أو طلبا، اعتقادا منهم أن الممدوح والمتوسل إليه بيده الحل، ولعل الحديث عن كرامات الأولياء ومكانتهم عن الشعراء يجرّنا إلى الحديث عن تصوّف هؤلاء واقتدائهم بالشعراء الصوفيين الذين ليس لديهم أي مشكلة أو عقدة في التحدث عن العشق وهو أعلى درجات المحبة في حق الله ورسوله وأوليائه الصالحين، وفي هذا الصدد يرى كثير من الدارسين أن معظم الشعراء الجزائريين والمغاربيين إن لم نقل كلهم من الصوفية " [2].

ه..شعر الفكاهة والعتاب :

اهتم الشعراء الشعبيون كثيرا بشعر الفكاهة والطرافة ذلك أنه وسيلة أخرى للتعبير عن المتعة والدهشة التي تنتاب الشاعر في لحظات معينة فتتخذ بذلك منحى الهزل، وأحيانا أخرى منحى السخرية والاستهزاء، خاصة وأن الشعراء معرضون لانكسارات عاطفية ووجدانية خاصة إذا كانت لديه تجارب فاشلة ، نذكر من ذلك ما قاله " عبد الله بن كريو" في معشوقته التي طال بعاده عنها ، يقول:

جيتك رافع دعوتي يا قاضي الحب*وتغيث المضيوم هارب تحت حماك**[3]

ومما ورد في هذا الغرض ما ذكره عبد الرحمان بن عيسى، يقول:

راني من غش البرقوق*مفتون وتاعب مفلوق**

ونلهث في الشمس محروق*اتلاقاو على همين**

راه خسر وفسد في السوق*وابخس في هذا العام الشين**[4]

1-العربي بن عاشور: أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص160.

2-سعيد جاب الخير: التأثير الصوفي في الفنون الشعبية الجزائرية، مجلة القدس العربي، 12، 13، 14 أفريل 2007، دص.

3-أحمد الأمين: صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص168.

4-عبد الكريم قذيفة: انطولوجيا الشعر الملحون الشعراء الرواد ، مرجع سابق، ص89.

وترجع نبيلة إبراهيم هذا اللون من الموضوعات إلى إحساس الشعب بضغط الحياة على نفسه وللتقليل من سطوه الضغط يلجأ إلى الضحك والسخرية من مشاكله التي يعاني منها[1]

كما ذهب بعض النقاد " إلى اعتبار الهزل ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها، حيث لا يتحمل الجد المتواصل وانطلاقا من هذا بدأ الشعراء بنقل الفكاهة وحكاياتها غير أنه ما يلاحظ على الموضوعات الهزلية أنها تتصف بقلة الجزئيات التي تؤلفها وقلة المقاطع الشعرية إضافة إلى انعدام الحدث في غالبيتها[2].

والحقيقة أن وظيفة الموضوعات الهزلية " لا تقتصر على التخفيف من تعب الحياة ومشاقها فحسب، بل تتعدى ذلك إلى التقويم الاجتماعي، حين يصبح الضحك هو السيف القاطع الذي تسلطه الجماعة على رقاب الخارجين عن معاييرها الجمعية وآدابها العامة"[3]

أقسام الشعر الشعبي :

يقسم النقاد الشعر الشعبي إلى سبعة فروع، ثلاثة _في رأيهم _ لا تكون إلا باللغة الفصحى وهي (القريض والموشح والدوبيت)، أما الفروع الأربعة الباقية منها ما يكون عاميا صرفا ومنها ما يكون خليطا بين العامية والفصحى وهي:

1..الكان وكان : ظهر هذا النوع في بغداد وخصص لنظم الحكايات والخرافات، شاع بين الوعاظ فنظموا مواضعهم على أوزانه وعادة ما يكون الشطر الأول في الغالب أطول من الشطر الثاني، والاحتفاظ بوزن واحد مع الالتزام سبق حرف علة الروي، كقول الشاعر[4]:

يا قاسي القلب مالك تسمع وما عندك خبر

ومن حـــــــرارة وعظي قد لانت الأحـــــــجار

أفنيت مالك وحالـــــــك في كل ما لا ينفعك

1-نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومنسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974، ص96.
2-مولدي بثينة: الحكاية الشعبية الخرافية في منطقة الطارف، دراسة وظائفية ، مذكرة ماجستير، جامعة عنابة، 2005، ص93.
3-عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، دار نوبار للطبع، مصر، ط1، 1992، ص91.
4-حسين نصار: الشعر الشعبي العربي ،مرجع سابق، 1980، ص40.

ليتك على ذي الحالة تقلع عن الأضـــــــرار

2..القوما : هذا النوع شاع أيضا ببغداد يتغنى به الناس في ليالي رمضان لإيقاظ الناس عند السحور، ومن هذا جاءت التسمية (القومة) وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

أ..القسمالأول :يتألف من أربعة أغصان على شكل الشعر العمودي المكون من بيتين، كل الأغصان في الدور الواحد متحدة القافية والوزن ماعدا الغصن الثالث ينفرد بوزنه وقافيته نحو قول صفي الدين الحلي:

لازال سعـــدك حـــديـــــد*دايـــم وحـــــدك ســـــعيـــد**

ولا برحـــــــت مـــنـــــــها*بكـــــــل صـــــــــوم وعيد**

في الدهر أنت الفـــريـــد*وفـــــي صفـــــاتك وحـــــيـــد**

فالحـــــــق شعـــــر منفح*وأنـــــــت بيـــــت القـصـــــيد**

ب..القسم الثاني: يتركب الدور فيه من ثلاثة أغصان متحدة القافية، أما بناؤه فيشبه شعر التفعيلة، نحو قول صفي الدين:

أي قلب دعهم

أيش ترى أوقعك معهم

انكف عنهم قبل ما تظهر بدعهم

لولا طمعهم

بان قلبي ما يدعهم

ما خالفوني واظهروا في بدعهم [1]

3..**الزجل:** شاع في الأندلس يمتاز بتعدد أوزانه وتعدد قوافيه، عامي اللغة ويشبه الموشحات من ناحية الأوزان، وقد انتشر هذا النوع من الشعر في الأوساط الشعبية لأنها تفهمه وتتذوقه، ينظم على الأوزان المتداولة في الموشحات والأزجال.

4..المواليا: شاع هذا النوع من الشعر في العراق بمدينة واسط، وأول من تغنى بهذا الشعر جواري البرامكة اللواتي كنّ يكملن أنشودتهن بكلمة (يا مواليا) ، وتسمى في مصر

1- محمد المرزوق: الأدب الشعبي في تونس، مرجع سابق، ص76.

بـ " الموال " في الغالب تقسم إلى مقطوعات تنظم في بحر البسيط وتتركب كل مقطوعة من أربعة أغصن (أشطر) متحدة القافية، مع التزام الحرف السابق للروي في الغالب.

وما يجب أن نشير إليه أن الأوزان الأساسية التي كان الشعراء يكتبون أو يروون _قديما_ أشعارهم على منوالها أربعة هي:

أ.القسيم: يبنى شكل القصيدة فيه على منوال القصيدة الفصحى، الأشطار الأولى متحدة القافية، وكذلك الحال للأشطار الثانية (متحدة القافية) .

ب.الموقف: (المرجع) ينتمي إلى نوع القسيم لكن البيت فيه يتكون من أربعة أشطار، الثلاثة الأولى متحدة القافية والرابع مستقل بقافيته.

ج.المسدس: يشبه الموشحات من حيث شكله، أي يتكون من أقسام مختلفة البناء، يبدأ بمطلع متكون من ثلاث غصون (أشطر) وبعد المطلع تأتي الأقسام الأخرى وتسمى الأدوار، ويتكون كل دور من ستة أغصان تكون الأربعة الأولى متحدة القافية أما الأخيران فلهما نفس قافية المطلع، وشكل المسدس قد يتغير بالزيادة أو النقصان، عندها يسمى "الملزومة" .

د.الملزومة : نوع من النظم الشعبي، له مطلع ذو غصنين أو ثلاثة أغصان أو أربعة وله أدوار تتركب من ثلاثة أغصان تتحد قوافيها ولكنها تختتم بغصن أخير تكون قافيته هي قافية المطلع.

هذه هي أهم الأوزان في الشعر الشعبي بقصيده وموشحه وزجله

دور الشعر الشعبي :

- ✍ يلعب الشعر الشعبي دورا إعلاميا ذلك أن الشاعر الشعبي كان يقوم بوصف الواقع ونقل الأخبار من مكان إلى آخر، كما استطاع مواكبة كل التطورات والتغيرات التي تحدث في المجتمع في جميع المناحي.
- ✍ استطاع الشعر الشعبي المحافظة على اللسان العربي ومن ثمة المحافظة على وحدته.
- ✍ الشعر الشعبي كان ولا يزال سجلا يذكر الأبطال ويرصد حركية الأحداث الذاتية والاجتماعية، وبذلك وثيقة تاريخية يعتمد عليها لمعرفة طبيعة المجتمعات.

- من الناحية الفنية الشعر الشعبي يعدّ من أبرز الفنون القولية الشعبية، فقد اشتمل على كثير من الصور التعبيرية الشعرية كالموشحات والأزجال .
- الشعر البدوي يهتم بالصور الفنية التي تعبر عن القيم كالشهامة والانتصار للقبيلة وتمجيد الفروسية .
- الشعر الحضري: يعمد إلى نقل الصور الفنية حيث يميل فيه الشاعر إلى استخدام الألفاظ الرقيقة التي تناسب الغناء والطرب.
- حافظ الشاعر الشعبي على القوالب والأساليب القديمة لأن الشاعر الشعبي تغلب عليه الأمية التي تعوقه عن الاستفادة بتطورات العصر وقضايا الثقافة والفكر.
- تنوع الأغراض نتيجة تأثر الشعراء بالبيئة المحيطة بهم وتأثير ظروف الحياة المختلفة في طرق تفكيرهم وأساليب معيشتهم.
- عبّر الشعر الشعبي عن قضايا إنسانية كبرى التي تشغل بال الإنسان في العالم أجمع كالحرية والعدل والعلم ...